المواطنة والهوية

وعلاقتهما بالكرامة الإنسانية

دكتور/ صليحة على صداقة

المواطنة والهوية
وعلاقتهما بالكرامة الإنسانية

د . صليحة علي صداقة
أستاذ القانون الدولي العام المشارك
كلية القانون / درنة – جامعة عمر المختار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

من المسلمات الأساسية لكل إنسان، ترسيخ قيم المواطنة والهوية في إطار الوطن الواحد واحترام قيمة المواطن، والمتعلقة بكرامته الإنسانية، وذلك لتحقيق الأمن والأمان لكل مجتمع من المجتمعات، ولاسيما وطننا ليبيا.

فحب الوطن والدفاع عنه – على سبيل المثال - واجب ديني وأخلاقي، وهو من مقتضيات الولاء والانتماء، إذ أن من الواجب على كل من ينتمي إلى أرض معينة برابطة انتماء أن يخلص الولاء للوطن لأجل الاستقرار والسلام والحرية ....

ولكن كيف السبيل لتحقيق ذلك ؟ وما هي المواطنة، وما علاقتها بالهوية ؟ وهل لحب الوطن، كذلك، علاقة بالكرامة الإنسانية ؟؟ .

هذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية، نتناوله وفقاً للمخطط التالي :

المبحث الأول / المواطنة كحق وانتماء .

المطلب الأول / مفهوم المواطنة وعلاقتها بالوطن .

المطلب الثاني / المواطن والموطن.

المطلب الثالث / الاغتراب وعلاقته بالوطن .

المبحث الثاني / الحق في الهوية .

المطلب الأول / مفهوم الهوية .

المطلب الثاني / عناصر الهوية .

المطلب الثالث / ربط الهوية بالانتماء .

المبحث الثالث / الحق في الكرامة الإنسانية .

المطلب الأول / مفهوم مبدأ الكرامة الإنسانية .

المطلب الثاني /. حماية الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية .

المطلب الثالث / مبدأ احترام الكرامة الإنسانية على الصعيد الوطني .

المطلب الرابع / مبدأ الكرامة الإنسانية في القانون الدولي .

الخلاصـــة

الهوامـــش.

المبحث الأول

المواطنة كحق وانتماء

المواطنة حق لكل مواطن ينتمي إلى وطن ويدين بالولاء له ؛ وطن يحفظ له كرامته الإنسانية ويتمتع فيه بكافة حقوقه وحرياته الأساسية .. فما معنى المواطنة المرتبطة بالهوية ، وما علاقتها بالوطن ؟ هذا ما يمكن تناوله في إطار المطالب التاليـة :

المطلب الأول

مفهوم المواطنة وعلاقتها بالوطن [1] .

المواطنة في الأساس شعور وجداني بالارتباط بالأرض وبأفراد المجتمع الآخرين القاطنين على الأرض ، لأن المواطنة عبارة عن رابطة بين أفراد يعيشون في زمان ومكان معين ، أي جغرافية محددة .

---

1 أنظر :

- د. إبراهيم محمود ، " العولمة : هل هي انفجار الهوية ؟ " ، الفكر العربي ، العدد ٩٣ ، ١٩٩٨ ، ص ٢١ وما بعدها .
- مركز الفتوى ، الوطنية وحب الوطن والدفاع عنه ، إسلام أون لاين ، على الإنترنت.
- د . صاحب الربيعي ، المواطنة والديمقراطية (مواضيع وأبحاث سياسة) ، الحوار المتمدن ، عدد ٩٥٠ ، ٨ . ٩ . ٢٠٠٤ .

والمواطنة ضرورة وطنية لتنمية الإحساس بالانتماء وبالهوية وبالوطن، وهي ضرورة اجتماعية لتنمية المعارف والقدرات والقيم والاتجاهات، والمشاركة في خدمة المجتمع، ومعرفة الحقوق والواجبات، كما أنها ضرورة دولية لإعداد المواطن وفقاً للظروف والمتغيرات الدولية.

ولأهمية هذا الموضوع، يمكن الإشارة إليه، وفقاً لما يلي :

الفرع الأول
المواطنة

أولاً / المواطنة في اللغة

يعود أصل كلمة المواطنة ومدلولها إلى عهد الحضارة اليونانية القديمة، والكلمة من (Polis) وكانت تعني المدينة باعتبارها بناء حقوقيا ومشاركة في شؤون المدينة.

أما المواطنة بمعناها اللغوي العربي، فهي مشتقة من وطن، وهو بحسب كتاب لسان العرب لابن منظور " الوطن هو المنزل الذي تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله [1] ... ووطن بالمكان واوطن [2] أقام، وأوطنه اتخذه وطنا [3]، والموطن ... ويسمى به المشهد من مشاهد الحرب وجمعه مواطن، وفي التنزيل العزيز، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ... واوطنت الأرض ووطنتها واستوطنتها أي اتخذتها وطنا، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد .

---

1 أنظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت . ١٩٦٨، المجلد ١٣ ص ٤٥١ .

2 فاروق سليم، " المواطنة العربية وإشكالات الأسئلة "، مجلة الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ٣٤ و ٣٥، السنة ١١، صيف وخريف ٢٠٠٩، ص ٢١ .

3 Gianluca p. parolin , citizenship in the Arab World ,kin , Religion and Nations – state ,IMISCOE Research Series , Amsterdam : Amsterdam University press 2009 , p. 25 .

ومحصلة الدلالة[1] اللغوية للمواطنة في اللغة العربية تشير إلى التشارك في الوطن والعيش في مكان واحد .

ثانياً / المواطنة في الاصطلاح..

رغم وجود العديد من التعريفات [2] لتحديد مفهوم المواطنة، إلا أن التعريفات المعاصرة تقارب المفهوم من زوايا وأبعاد مختلفة، حيث يُغلب كل تعريف بعداً من تلك الأبعاد ، الأمر الذي يُصعب مهمة الاتفاق حول تعريف إجرائي محدد . ومن تلك التعريفات، نشير إلى التعريف الذي يرى [3]، أن المواطنة هي الانتماء إلى الوطن .. انتماء يتمتع المواطن فيه بالعضوية الكاملة الأهلية على نحو يتساوى فيه مع الآخرين الذين يعيشون في الوطن نفسه مساواة كاملة في الحقوق والواجبات، وأمام القانون دون تمييز بينهم على أساس اللون أو العرق أو الدين أو الفكر

أو الانتماء السياسي، ويحترم كل مواطن المواطن الآخر، كما يتسامح الجميع تجاه بعضهم البعض رغم التنوع والاختلاف بينهم .

وتعني المواطنة صفة المواطن الذي له حقوق وعليه واجبات [4] تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن. ومن هذه الحقوق على سبيل المثال لا

1

2 See :

- Gianluca ., op . cit ,p . 17 .
- Josefina Syssner, " no space for citizens ? conceptualizations of citizenship in a functional region ", citizenship studies, Vol . 15 , No. 1 , February 2011 , p. 112 .
- على خليفة الكواري، " مفهوم المواطنة في الدولة الحديثة "، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد ٢٦٤، فبراير ٢٠٠١، ص ١١ .

3 محمد عثمان الخشت، " تطور المواطنة في الفكر السياسي الغربي "، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، سلطنة عُمان، عدد ٢٠، خريف ٢٠٠٧، النسخة الالكترونية :
http://www.altasamoh.net/Article.asp?Id=461

4 سعيد الحافظ، المواطنة : حقوق وواجبات، مركز ماعت للدراسات القانونية والدستورية، الجيزة – مصر، ٢٠٠٧، ص ١٢ – ١٣.

الحصر : حق التعليم، حق الرعاية الصحية، حق الشغل، أما الواجبات، فمنها على سبيل المثال لا الحصر كذلك : واجب الولاء للوطن والدفاع عنه، وواجب أداء العمل، وإتقانه .. إلخ .

وبناء عليه، فالمواطنة علاقة الفرد بدولته، علاقة يحددها الدستور والقوانين المنبثقة عنه والتي تحمل وتضمن معنى المساواة بين من يسمون مواطنين . وتحيل المواطنة باعتبارها مفهوم قانوني إلى شرطين :

الأول / شرط الدولة الوطنية، وما يستتبع ذلك من إقامة مجتمع وطني يقوم على اختيار إرادة العيش المشترك بين أبنائه .

والثاني / شرط النظام الديمقراطي، ومتطلباته للتوازن بين الحقوق والواجبات، بين الخاص والعام، بين الخصوصيات والشمول .

والمواطنة هي، عقد شراكة قد تنشأ بين أطراف متباينة عرقيا وعقديا وثقافيا، ولا يلزم لقيامها ونجاحها التجانس والتطابق بين مكونات المجتمع، بل يلزم لقيامها وجود تداخل و تلاحم بين المصالح لشعب من الشعوب في وطن حر، ويلزم لنجاحها الإجماع على دستور ضابط وضامن لجميع حقوق مكونات المجتمع، وأن ينظر للاختلاف في الخصوصيات (من لغة وثقافة ومعتقد وموروث) بأنها من الحقوق التي يجب تثبيتها وحفظها لكل طرف، لأن المساس بها أو استهدفها بطمس أو تهميش يعني استهداف طرف من الأطراف في هويته الذاتية والمعنوية [1] .

بمعنى أن المواطنة الفاعلة هي التي تحفظ لكل طرف مكون في المجتمع هويته وخصوصيته التي تميزه عن بقية مكونات المجتمع، وتحت مظلة الشراكة والمواطنة والتعاون يتم التفاعل الإيجابي بين تلك

---

1 أحمد جاد منصور، " المواطنة وتكافؤ الفرص وعدم التمييز : منظور قانوني "، مجلة الفكر الشرطي، مركز بحوث شرطة الشارقة، الإمارات العربية، مجلد ٢٠، عدد ٧٦، ٢٠١١، ص ١٢٠ . وأنظر :
- Josefina Syssner, op . cit. , p. 109.

الخصوصيات المختلفة، لتتولد في المجتمع ثقافة التعايش السلمي، وتختفي ثقافة الإقصاء والتهميش ..

فالمواطنة مفهوم تاريخي شامل ومعقد له أبعاد عديدة ومتنوعة، منها ما هو مادي قانوني، ومنها ما هو ثقافي سلوكي، ومنها أيضا ما هو وسيلة أو غاية يمكن بلوغه تدريجيا، لذلك فإن نوعية المواطنة في دولة ما تتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري [1].

كما المواطنة، خيار ديمقراطي اتخذته مجتمعات معينة، عبر مراحل تاريخية طويلة نسبيا، فهي كما قال عنها البعض [2] : " ليست المواطنة جوهرا يعطي مرة واحدة وللأبد "

وبفضل الله وحمده، نحن في ليبيا مكون اجتماعي واحد، لا وجود لطوائف أو انتماءات مختلفة، يبقى الأهم محاربة الفتن بين أبناء الشعب الواحد، ونبذ ثقافة الإقصاء والتهميش من أجل اللحمة الوطنية الواحدة والتي ترسخ الاستقرار والأمان ..

فهيبة الدولة ضرورة، واحترام القانون والنظام العام حاجة قصوى، لا تستقيم الحياة بفقدانها، هذا أمر ليس محلاً للخلاف بين أصحاب العقول لدى البشر منذ فجر الإنسانية، وإلى جانب ذلك وقبله تعد الكرامة الآدمية ضرورة إنسانية، وما وجدت الدولة والسلطة إلّا لحفظ كرامة البشر وإعلاء شأنها، وامتلاك القدرة على الدفاع عنها وصيانتها من جميع أنواع العدوان وكل أشكال الإضرار والعبث ..

---

1 بشير نافع، سمير الشميري، علي خليفة الكواري، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية "، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١ ص ٢٧ .

2 السيد ياسين، المواطنة في زمن العولمة، الدار المصرية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٢ ص ٢٢ .

الفرع الثاني
الوطن

قال أمير الشعراء، أحمد شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه.. نازعتني إليه بالخلد نفسي .

حبّ الأوطان يجري في عروق كلّ شخص منا حتّى لو لم يدرك ذلك، فيشعر الشخص بالحنين

إلى الوطن والشوق اليه عندما يكون بالغربة بعيداً عن أهله وبعيداً عن أصدقائه وعن ذكريات الأماكن التي عاش فيها عمره وطفولته ؛ حيث يشكّل الوطن المكان الّذي حملك على أرضه

وتنفّست من هوائه وعلى ثراه كبرت وترعرعت [1] .

هو ذاكرة وتاريخ المواطن، فإن كان هذا التاريخ والذكريات عبارة عن ضرب من ضروب العنف والاضطهاد، وعدم المساواة والقهر...، ضعفت أواصر العلاقة بين المواطن والوطن.والسلطات الحاكمة هي المسئولة عن حجم ولاء المواطن للوطن، فإن كانت السلطة عادلة وتعمل على تحقيق مصالح المواطن زادت من حجم ولائه للوطن، والعكس صحيح .

فالوطن لا يكفي أن تولد فيه وتترعرع، ولكن الوطن هو الذي تصان في الكرامة وتجد فيه قوت يومك، وتجد فيه الأمن والأمان، والشعور بالانتماء، وتحقيق الذات والتقدير ..

ليس الوطن الذي ينتسب إليه المواطنون هو الذي يحدد لهم نوع الهوية التي إليها ينتسبون. فالوطن الواحد قد تتعاقب عليه نظم مختلفة بل ومتناقضة. ويبقى الأهم الولاء للوطن ...

ويتردد مصطلح أو مفهوم الولاء والانتماء للوطن كثيرا في كافة المحافل السياسية والثقافية والتربوية، باعتباره ركيزة من ركائز القيم

---

1 http://mawdoo3.com

الوطنية التي أضحت من الضرورات الأساسية في عالمنا المعاصر، نظراً لما تتضمنه من معانٍ ودلالات عظيمة تمثل أساساً للفطرة السليمة التي ينظر إليها بكثير من الاحترام والتقدير .

إن انتماء الإنسان إلى وطنه هو انتماء يشمل كل الأمور التي تخصه، فالوطن ليس حيزًا جغرافيًّا

نعيش به فحسب، بل أكبر من ذلك بكثير، وكلمة وطن أشمل وأعمُّ من ذلك بكثير ؛ فالوطن هو تاريخ المرء، وجذوره، وأسلافه، ومخزونه الثقافي، وكل ما يَمُتُّ إليه بصلة .

إن مفاهيم الانتماء والولاء للوطن يكتسبها الإنسان من تلقاء ذاته، ولا تُملى عليه، إلا أن الضرورة تحتم غرسها وتعزيزها في نفس كل مواطن ليمارس حقوقه المشروعة، متحلياً بأخلاقيات المواطنة والسلوكيات السليمة [1] .

والولاء للوطن هو ولاء مطلق بلا حدود. والولاء للوطن لا يقبل الازدواجية، لأن الولاء من حيث هو لا يتجزأ. ومن كان له ولاء مزدوج فهو كمن لا ولاء له [2] .

وهناك من يرى [3]، أن ثمة اختلافاً بين مفهوم الانتماء، ومفهوم الولاء، رغم الخلط القائم بينهما في الاستخدام الشائع، ويستدل على هذا الاختلاف من خلال الرجوع إلى الأصول اللغوية لكلا اللفظين .

---

1 عبد العزيز بن صالح الخضيري، قيم الانتماء والولاء للوطن .. السلوك أولاً، على الرابط :
http://amanah.nazaha.gov.sa:8666/?p=353

2 عبد القادر الإدريسي، الولاء المطلق للوطن قيمة ثابتة لا تتغير، على موقع :
http://www.maghress.com/alalam/16620

3 إبراهيم كَشت، ليس الانتماء كالولاء، على موقع :
http://www.alrai.com

فالانتماء يفيد في اللغة معنى الانتساب، ويشير في الاصطلاح غالباً إلى تلك الرابطة الفعلية أو الواقعية أو القانونية التي تربط الفرد بفئة أو جهة أو مؤسسة أو فكرة، فهو ينتمي إلى أسرة أو عشيرة برابطة الدم، وإلى دولة برابطة الجنسية أو المولد أو الإقامة أو غير ذلك، وقد ينتمي لنقابة أو جهة أو مؤسسة لسبب واقعي كالعمل أو التخصص.

أما الولاء فيعني، القرب، والمحبة، والصداقة، والنصرة، وهو يشير كمصطلح إلى تلك الرابطة العاطفية التي تربط الفرد بفئة أو جهة أو مؤسسة أو فكرة أو شيء، وبما أنها رابطة عاطفية فإنها تكون عن اختيار ورضا، ولا يقوم الدليل عليها إلا من خلال آثارها، بخلاف الانتماء الذي يقوم على أسباب ووقائع محددة ومعروفة. وهناك تعريف موجز لمفهوم الولاء، أشار إليه الفيلسوف الأمريكي "جوزيا رويس" يرى فيه أن الولاء هو إخلاص شخص لموضوع إخلاصاً طوعياً وعملياً غير مشروط.

ويعني الولاء للوطن الحب لمؤسساته، فما قيمة لوطن يشعر المرء فيه إنساناً من الدرجة الثانية وغير متساوي بالحقوق مع الغير.

أن أحد السمات الأساسية للدفاع عن الوطن هو الحب المتفاني، وهذا التفاني لا قيمة له حين يكون من طرف واحد، وعلى الوطن أن يحب أبناءه أيضاً لتستقيم معادلة الانتماء المتبادل، والسلطة الممثلة لمؤسسات الوطن إذا لم يكن لها القدرة على الحب، لن تجد تفانياً على الإطلاق من أبناء وطنها بل أن عدم قدرتها على الحب سيدفع المواطن نحو الكراهية لها، وبالتالي كراهية الوطن.

المطلب الثاني
المواطن والموطن

المواطن [1]، هو ذات قانونية أي مجردة، عليه جملة من الواجبات يمكن حصرها في مبدأ الطاعة (طاعة القانون)، أي الحقوق الطبيعية أو

---

1 جاد الكريم الجباعي، معنى ومفهوم المواطنة والمواطن، على الرابط :
http://forum.edracat.com/showthread.php?t=382

ما يسمى اليوم بحقوق الإنسان . هذه الحقوق التي تمثل عقدا اجتماعيا جديدا يضمن التعايش بين الأفراد ويضبط علاقة هؤلاء بالسلطة، وهي اليوم تجسد خطاً أحمر لا يجوز لأية سلطة مهما كانت أن تتخطاه[1]. ويمكن التوضيح بين مفهومي المواطن والموطن في فرعين :

الفرع الأول
المواطن

المواطن هو عضو في جماعة سياسية يتمتع بحقوق المواطنة ويؤدي واجباتها، والجماعة السياسية، هنا، هي "المجتمع المنظم" أو "الأمة المنظمة" أو الشعب، أي إن المواطن عضو في دولة حديثة يتمتع بما تقرره المواطنة من حقوق مدنية وسياسية وما تعينه من واجبات مدنية والتزامات قانونية، وفق تعريف الدولة بأنها "مجتمع سياسي" (مقابل المجتمع المدني)، أو "مجتمع منظم" .

والمواطنين مهما كان إخلاصهم لوطنهم وحرصهم على مصلحته لا يمكن أن ينظروا إلى تلك المصلحة باعتبارهم مواطنين فقط، بل لا بد أن ينظروا إليها بحسب هوياتهم .

الفرع الثاني
الموطن

الموطن، ويعني الحيز الجغرافي او المنطقه الاقليمية التى يقصد الشخص ان يتخذها مقاما له او مقر عمل له، ومن هنا يتضح ان الموطن يظر بحالتين :

---

1 أنظر :
- د . إبراهيم أبراش، ما هي الثوابت الوطنية ؟ ومن يحددها ؟ الحوار المتمدن، عدد ١٧٢١، ١. ١١. ٢٠٠٦، على الإنترنت .
- د . الشريف الجرجاني، التعريفات، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣١٢ وما بعدها .

الأولى / المكان الذى يقيم فيه الشخص بنيه البقاء لمدة غير محددة.
والثانية / مقر ادارة الاعمال وقد تتركز بها صلاته العائليه والمهنية .
ويمكن تعريف الموطن بأنه، المجال الجغرافى الذى يركز عليه الأشخاص تركيزا مكانيا وماديا وجغرافيا وبه تتحقق للشخص صله او رابطه قانونيه وواقعيه بالدولة التى تحقق استقراره فيها وهذه الصلة ممكن ان تكون دائمة أومؤقتة، ويكون بقصد نية الشخص وذلك على وفق ما يحدده قانون الدولة .

إذن الموطن، هو المقر القانوني للشخص، أو المكان الذي يعتبر القانون أن الشخص موجود فيه، فالموطن هو المكان الذي يعتد به في مخاطبة الشخص في شؤونه القانونية . ويحدد الموطن على أساس محل الإقامة المعتاد .

المطلب الثالث
الاغتراب وعلاقته بالوطن

متى يشعر الإنسان بالاغتراب ؟ هل هو الحنين للوطن ؟ أم هو شعور إنساني يأتيك حتى لو كنت داخل الوطن ؟.

الاغتراب شعور إنساني يأتي حتى لو كنا في الوطن، أحيانا، وبسبب ما يشعر به المواطن انه غريب عن وطنه .. رغم أنه يحمل جنسيته . فالجنسية بشكل عام، تعني الرابطة القانونية والسياسية القائمة بين الفرد والدولة بحيث يصبح بموجبها أحد سكانها.

والاغتراب، كمفهوم ذي دلالات [1]، يمثل نمطًا من تجربة يشعر فيها الإنسان بالغربة عن الذات، ومعاني الاغتراب متعددة، اجتماعية ونفسية واقتصادية ؛ ويمكن إجمالُها في اختلال الرابطة بين الفرد والمجتمع .

---

1 إبراهيم الحيدري، الاغتراب، على موقع :
http://www.maaber.org/philosophy/Alienation.htm

والاغتراب يعني ببساطة حالة من الانفصال أو الغربة، بمعنى إحساس الإنسان بأنه ليس في بيته أو موطنه أو مكانه (ومن هنا نقول بأن الغريب أو المسافر يشعر بالغربة)، إلا ان هذا المفهوم يعتبر من المفاهيم السهلة الممتنعة على اعتبار أن للاغتراب معانٍ وأنواع عديدة تتجلى في الواقع الاجتماعي، منها : الحقوقي، والنفسي، والديني والثقافي ..

والفرد بمجرد اكتسابه لجنسية دولة معينة يصبح تابعاً لها ويتمتع بكافة الحقوق وتقع على عاتقه كافة المسؤوليات، لأن الجنسية كرابطة قانونية وسياسية تنشئها الدولة وتضع قواعدها والتي على أساسها يكتسب الفرد الصفة الوطنية، ومع كل ذلك، قد يكون المواطن غريباً في وطنه، إما بسبب كراهية، أو اضطهاد، أو عنصريه، أو إهانة الحقوق والحريات، أو الاحتلال ... الخ .

أما الوطن [1]، أو الموطن، كما أشرنا سابقاً، هو محل الإنسان ومنزل إقامته وقيل مكان الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه، ولد به أو لم يولد، والوطن في المفهوم المعاصر، هو الدولة التي ولد فيها الإنسان الذي يحمل جنسيتها تبعاً لآبائه وأصوله الذين توارثوا هذه الجنسية، وقد تمنح الدولة شرف المواطنة (الجنسية) لمن لم يولد، أو ولد على أرضها، إذا كانت مصلحة الوطن تستدعي ذلك .

المبحث الثاني

الحق في الهوية [2] .

تعتبر " مشكلة الهوية " من أعقد المشكلات التي تواجه - في العصر الراهن - الكثير من الشعوب والمجتمعات الحديثة منها أو ذات

---

1 تعريف الوطن .. ولماذا نحبه ؟ على الرابط :
http://a-yawatani.blogspot.com/2012/08/blog-post.html

2 - د. حسين معلوم، "الرصيد المعرفي المشترك وإشكالية الهوية في مقابل تغير الزمن وما يناسب إليه "، الحياة، لندن : ٢٩ .١٢ .١٩٩٧ .

- د. عصمت سيف الدولة، عن العروبة والإسلام، سلسلة الثقافة القومية، الكتاب رقم ٢ ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١١١ – ١١٢ .

الأصول الحضارية القديمة، أو حتى تلك التي تفتقد الانتماء الحضاري القديم على حد السواء.

وتعتبر الهوية النظام الرمزي التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتميًا إلى تلك الجماعة، وهي نظام تتجمع عناصره العرقية على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي، الثقافة، وطابع حياتها، الواقع الاجتماعي، [1] بالإضافة إلى ذلك تتجلى الهوية من خلال تعبيرات خارجية شائعة مثل العادات والتقاليد ... إلى غير ذلك، و التي تنحصر قيمتها في أنها عناصر معلنة تجاه الجماعات الأخرى، وهي أيضًا التي تميز أصحاب هوية ما مشتركة عن سائر الهويات الأخرى، ولكن الملامح الحقيقية للهوية، هي تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة، وتظل محتفظة بوجودها وحيويتها بينهم مثل: الأساطير، والقيم، والتراث الثقافي [2].

وعلى هذا الأساس، تشكل الهوية حقاً للمواطن، نشير إلى مفهومها وعناصرها، وفقاً لما يلي :

المطلب الأول
مفهوم الهوية

تُعرف الهوية بأنها مجمل السمات التي تميّز شيئاً ما عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها كلّ منها يحمل عدة عناصر في كينونته، هذه العناصر أو السمات مجتمعة تمثل هويته.

---

1 أنظر :
ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ، للمدة ٢٥- ١٩٩٧/٦/٢٦، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة، ص ٧، على الإنترنت. وأنظر أيضاً:
- د. محمود سمير المنير، العولمة وعالم بلا هوية، ط١، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٠، ص ١٤٦.
- ثقافة ومجتمع، ما هي الهوية الوطنية ؟ أنظر الرابط : business.com

2 رشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكتاب رقم ٢٢٤، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أغسطس، ١٩٩٧، ص ٧.

وهي عناصر متحركة، يمكن أن يبرز بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى، حيث يشير مفهوم الهوية إلى ما يكون به الشيء هو هو او هو ذاته .

يتضح، من هذا التعريف ان الهوية ليست فقط تميز للذات، وإنما دفاعا عنه أيضا .

وحسب رأي البعض [1] تتمثل الهوية في نوعين إثنين، وهما :

الأول، هوية فردية : وتعتمد أساسا على المميزات الجسدية التي تميز كل كائن بشري عن الآخر.. والثاني / هوية وطنية أو قومية : وهي مجموعة الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى .

فالهوية ببساطة عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي [2] .

وعرف ارسطو الهوية على انها، وحدة الكائن، او ان الشيء الواحد متطابق مع نفسه، هذا المفهوم الارسطي لم يتغير عند فلاسفة عصر التنوير، فكلهم يتفقون على إن الهوية هي الشيء نفسه. ونقلت الموسوعات الفلسفية المعاصرة نفس المعنى للهوية حيث اعتبرتها مقولة تعبر عن تساوي وتماثل موضوع ما أو ظاهرة ما مع ذاتها .

---

1 أحمد بن نعمان الهوية الوطنية – الحقائق والمغالطات، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1995 ، ص23 .

2 تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، ط1 ، بيروت، لبنان، 1999 ، ص20 .

وذهب المسلمون في تعريف الهوية الى ابعد من ذلك، فقد عرف الجرجاني الهوية على انها : " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة "[1].

ويذهب الكثيرون الى ان، الهوية هي وعاء الضمير الجمعي لكتلة بشرية معينة، تشتمل هذه المحفظة على جملة من القيم، والعادات، والمقومات، وهذه المقومات تكيّف وعي الجماعة

وإرادتها في الوجود والحياة، وتعمل على حفظ كيانها[2].

وللإيضاح العلاقة بين الهوية والمواطنة، تعني الهوية انتساب ثقافي، والمواطنة انتساب جغرافي، والهوية انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة، والمواطنة انتساب إلى أرض معينة، فما طبيعة هذه العلاقة ؟

الهوية هي الذاتية و الخصوصية وهي القيم والمثل والمبادئ التي تشكل الأساس للشخصية الفردية أو المجتمع، وهوية الفرد هي عقيدته و لغته و ثقافته و حضارته و تاريخه، وكذلك

هوية المجتمع فهي الروح المعنوية و الجوهر الأصيل لكيان الأمة.

الهوية أيضا هي الوعي بالذات الاجتماعية والثقافية، وهي ليست ثابتة وإنما تتحول تبعا

لتحول الواقع، فالهوية الثقافية[3]، هي ذات الإنسان، وتتضمن المعايير والقيم، وتشكيل معرفة الإنسان، وثقافته بالمجالات المختلفة ووعيه بقضايا المجتمع، وهي تمثل التراث الفكري.

---

1 العلامة علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، باب الهاء، مكتبة لبنان، ١٩٨٥، ص ٢٧٧.

2 باقر جاسم محمد، مفهوم الهوية الوطنية : محاولة في التعريف الوظيفي، الحوار المتمدن، عدد ١٥٤٤، في ٨. ٥. ٢٠٠٦، على الإنترنت.

3 أنظر :

- د. محمد عابد الجابري، مسألة الهوية : العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٩ وما بعدها.
- سامية الشيخ، الهوية الوطنية، جامعة حمدان بن محمد الالكترونية، ٢٠١٠، على الإنترنت.

الهوية لازمة للمواطنة ؛ لأن المواطنين لا بد لهم من نظام سياسي، وعلاقات اقتصادية واجتماعية، وقوانين تضبط هذه العلاقات. وكل هذا إنما يبنى على معتقدات وقيم ومعايير؛ أي على هوية معينة.

والهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل

للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى [1]

فالهوية إذن هي مجموع السمات المشتركة التي يتعرف بها مجموعة من الأفراد ويتعارفون بها .

أما المواطنة، فهي تتجاوز سمات الهوية وتتعالى عن كل الخصوصيات العرقية والدينية، كما تعتبر المواطنة شراكة بين أفراد المجتمع لحفظ الحقوق، والهوية حق من تلك الحقوق .

وهكذا، تحدد الهوية الشعور العميق الوجودي الأساسي للإنسان، والشعور العميق الخاص بانتمائه . ويمنح الانتماء الفرد غايته وأمل حياته المسئولة عن هوية الجماعة واستمرارية أنماط تراثها المختلفة، المادية والروحية، والأمل في أن جهوده الإبداعية والوجودية لن تذهب هباءً بموته، بل ستغذى حياة الجماعة حتى بعد وفاته، ومن يكون لديه الارتباط بهويته على هذا النحو لا يتصرف وفقًا لقانون المصادفة، لأن الفرد الذي يتصرف وفقًا لهذا القانون يكون مفتقداً للهوية، ومفتقداً للانتماء ومحكوماً عليه بأن يعيش حاضره فحسب، لفترة السنوات التي تحدد له أن يحياها على الأرض [2] .

---

1 عزيز مشواط، إشكالية الهوية في العلوم الإنسانية، مأزق الإشكال وقلق المفهوم، جريدة المنعطف، العدد2377 ، 28 أبريل 2005 ، ص ١٨ .

2 رشاد عبد الله الشامي، المرجع السابق، ص٧- ٨، وانظر أيضًا: =

المطلب الثاني
عناصر الهوية

هوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء - إنساناً أو ثقافة أو حضارة - الثوابت والمتغيرات فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة [1].

إن عناصر هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية [2] والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى.

واللغة هي التي تلي الدين، كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى ثم يأتي التاريخ وعناصر الثقافة المختلفة في صنع الهوية.

وأهم عناصر الهوية الدين حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين وبالنسبة لمن يواجهون احتياجاً لتحديد " من أنا ؟، " ولمن أنتمي ؟، يقدم الدين إجابات قوية. والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح حيث الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح

= Miller: the Study of social relation ship situation, identity, and social interaction, in s. chock (ed.) physiology: A study of science, New York, Mc Greenhill,1963, P. 673.

1 حسن حنفي حسنين، الهويـــة، المجلس الاعلى للثقافة، مصر، ٢٠١٢، ص ١٩.

2 أليكس ميكشيلي، الهويـة، ترجمة : على وطفة، دار وسيم للخدمات، سوريا، ١٩٩٣، ص ٧٦.

تفترض وجود الهوية .وإذا كانت هذه هي الهوية وهذه أهميتها لكل أحد، فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، التي أصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية [1]. وقد أدرك الأعداء ذلك، حيث أن الصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار.

المطلب الثالث

ربط الهوية بالانتماء [2].

إن ربط الهوية بالانتماء يتمثل في التعامل مع مسألة الهوية ومقاربتها، من أجل إعطائها تعريفاً محدداً، ينطلق من قاعدة أساسية تمثل محور الارتكاز التي مفادها أن : الهوية تحدد الشعور العميق الوجودي الأساسي للإنسان، والشعور الخاص بانتمائه .. بمعنى أنه : إذا كان الانتماء هو ما يمنح الفرد " الغاية " (المسؤولية عن هوية الجماعة واستمرارية أنماط تراثها المختلفة، المادية والروحية)، و" الأمل " (أن جهوده الإبداعية لن تذهب هباء بموته، بل سوف تغذي حياه الجماعة

---

1 محمد صالح الهر ماسي، مقاربة في إشكالية الهوية (المغرب العربي المعاصر)، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠١، ص ٣٠.

2 محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ط ١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٩، ص ٤٦.

حتى بعد وفاته)، لذا فإن الارتباط بهويته المتولدة لديه على هذا النحو، يتصرف وفقاً لقانون " المصادفة " .

إن الملامح الحقيقية للهوية هي "تلك التي تنتقل بالوراثة داخل الجماعة".. ولا يقصد بالوراثة "المفهوم البيولوجي"، وإنما الوراثة بمعني انتقال التراث من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة.

إذن فالهوية هي أحد منتجات الواقع المجتمعي، ومن ثم فإن عملية "إنتاج" الهوية ليست بمنأى عن الأثر التاريخي والاجتماعي، تعبر عنة وتعكس تناقضاته تتأثر به وتؤثر فيه أيضاً.. " الهوية مناط الانتماء إلى خصوصية حضارية معينة ".

المبحث الثالث

الحق في الكرامة الإنسانية

تنقسم الأشياء إلى نوعين : الأولى / أشياء داخلة في دائرة التعامل، أي يرد عليها البيع والشراء، والثانية / أشياء خارجة عن دائرة التعامل كالإنسان [1]، فبيع الإنسان أو التصرف في جزء من جسده يقع باطلاً بطلاناً مطلقاً . فالتعامل على الإنسان أو جسده بمقابل يخالف النظام العام والآداب العامة.

فالمبدأ العام هو حظر التعامل على جسم الإنسان وحظر الاعتداء عليه احتراماً لقدسيته ومكانته وكرامته في الأديان السماوية والقوانين الوضعية، ولأهمية ذلك، نشير إلى هذا الموضوع في المطالب التالية :

المطلب الأول

مفهوم مبدأ احترام الكرامة الإنسانية

الكرامة الإنسانية هي مبدأ يشعر كل فرد، بصورة غريزية، بحقيقته وبقوته، حتى لو اختلفنا في تحديد مضمونه، فهو يتعلق بداية

---

1 R.Andorno, op.cit., p.63. Voir aussi: Béatrice Maurer, Notes sur le respect de la dignité humaine... ou petite fugue inachevée autour d'un thème central, in Le droit, la médecine et l'être humaine, presse universitaire d'Aix – Marseille , 1996, p. 185 et s.

بجوهر الإنسان، ومن ثم فإن الكرامة الإنسانية تتطلب عدم معاملة الإنسان كشيء أو كوسيلة، وإنما يجب الاعتراف به كصاحب حق.

ومن هنا يرى بعضهم أن مبدأ احترام الكرامة الإنسانية كقيمة عليا في المجتمع يضمنه القانون الطبيعي [1].

ويعني احترام الكرامة الإنسانية منع كل عمل غير إنساني من شأنه أن ينفي عن الإنسان أو الكائن البشري صفة الشخص الإنساني، كما أن الحق في احترام الكرامة الإنسانية هو مبدأ مطلق غير قابل للخرق أو التنازل، وهو حق مقدس [2].

ومن ثم فإنه لا يمكن تقييد هذا المبدأ، وبالمقابل فإن مدى الحق في احترام الكرامة الإنسانية هو نسبي، وكذلك فإن الحقوق المتفرعة عن الحق في احترام الكرامة الإنسانية، لا تتمتع من حيث المبدأ بطابع مطلق، وهذا هو الحال بالنسبة إلى الحق في الحياة [3].

ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى أن تقييد مبدأ احترام الكرامة الإنسانية يجب، من وجهة نظر شخصية، أن يكون من خلال الحقوق والمبادئ المتفرعة عنه، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال قبول تقييد مبدأ احترام الكرامة الإنسانية ذاته، لأن من شأن التقييد لذات هذا المبدأ أن يضعف بشكل كبير مداه، وأن يبرر الانتقادات الموجهة ضد تطبيقه

---

1 Bertrand Mathieu, La dignité de la personne humaine: du bon (et du mauvais?) usage en droit positif français d'un principe universel, in Le droit, la médecine et l'être humaine, presse universitaire d'Aix – Marseille , 1996, p.213et s.

2 N.Lenoir, Bioéthique, constitution et droits de l'homme, Diogène, n°172, octobre-décembre 1995, p.26 et s.

3 B.Mathieu, Rapport présenté au colloque international sur: Constitution et éthique biomédicale, tenu à Paris les 6 et 7 février 1997, in Les cahiers constitutionnels de Paris I, La documentation française 1998, p.50 et s.

القانوني، ومن ثم من شأن ذلك أن ينزع عنه صفته كمبدأ مؤسس للحقوق الأساسية للإنسان ويجعله مبدأ خلافياً فضفاضاً ومفرغاً من المحتوى في الوقت ذاته.

في الحقيقة، يجب ألا يكون هناك تضارب أو تعارض بين مبدأ احترام الكرامة الإنسانية وبين المبادئ الأخرى، لأن هذا التعارض أو التضارب يخالف جوهر هذا المبدأ .ومن ثم يجب إعطاء الأولوية دائماً لمبدأ احترام الكرامة الإنسانية.

المطلب الثاني
حماية الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم... " [1].

وكرم الله الإنسان غاية التكريم، فقال عز وجل " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً " [2].

ولا يجوز امتهان الكرامة الإنسانية في الشريعة الإسلامية تحت طائلة العقاب، ونضرب مثلاً على ذلك ما جاء في قصة الأمير الغساني جبلة بن الأيهم الذي صفع أعرابياً، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقصاص منه، وكذلك قصة القطبي الذي لطمه محمد بن عمرو بن العاص، وقال له: أنا ابن الأكرمين، فذهب القطبي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكاه إليه ما أصابه من مذلة وهوان على يد محمد بن عمرو بن العاص، فاستقدم عمر عمراً وابنه من مصر، وطلب من القطبي أن يقتص لنفسه، وقال له : دونك الدرة فأضرب بها ابن

---

1 سورة التين، الآيات، الآيات ١ – ٤ .
2 سورة الإسراء، الآية 70 .

الأكرمين، فضرب القطبي محمد بن عمرو، وقال عمر بن الخطاب لعمرو كلمته المشهورة متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً[1].

ويكرس الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان الذي وضعته منظمة المؤتمر الإسلامي مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في عدة مواضع منه .فقد جاء في ديباجته أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرامه، وجعله في الأرض خليفة ...وأن عقيدة التوحيد الخالص، التي قام عليها بناء الإسلام، وضعت الأساس الحقيقي لحرية البشر المسئولة، وكرامتهم، وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية للإنسان.

كما جاء فيها أن الشريعة الإسلامية تتفق مع الجهود البشرية المتعلقة بحقوق الإنسان والتي تهدف إلى تأكيد حرية الإنسان وحقوقه في الحياة الكريمة .

وقد أشارت المادة الأولى من هذا الإعلان إلى أن، جميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية دون تمييز بينهم بسبب العرق، أو اللون، أو اللغة، أو الجنس أو المعتقد الديني، أو الانتماء السياسي، أو الوضع الاجتماعي، وجاء فيها أيضاً أن العقيدة الصحيحة تضمن نمو هذه الكرامة على طريق تكامل الإنسان .

وأكدت المادة السادسة من الإعلان ذاته على المساواة في الكرامة الإنسانية بين المرأة والرجل .

كما أكدت المادة / 11 أ منه أن الإنسان يولد حراً، وليس لأحد أن يستعبده، أو يذله، أو يقهره، أو يستغله، وتنص على أن لا عبودية لغير الله تعالى .

---

1 أشار إلى ذلك: ، محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، دار ابن كثير، ط ٣، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٧ .

الكرامة الإنسانية هبة وعطاء رباني للإنسان، حيث إن الخالق عز وجل، جلل خلقه وإنسانيته ورفعها ومنع من انتقاصها والحطّ منها والاعتداء عليها بأي وسيلة ومن أي أحد. فالكرامة الإنسانية فوق كل شيء [1]، ومنها تبدأ مسيرة أعمار الحياة، ومن كرامة الإنسان تبدأ عمارة الأرض وحضارتها، فلا شيء قبل كرامة الإنسان، وكل شيء لا قيمة له إلّا بها، بل إن الحياة برمتها وما فيها تكسب القيمة بكرامة الإنسان، إنها المنحة الأولى والعطاء الأول لبني آدم فالخالق عز وجل هو المانح لهذه الكرامة والإنسانية بقدرته وكبريائه وقهره وعظمته ومنّه .

إن تكريم الله للإنسان في الإسلام هو تكريم لذاته الإنسانية وتكريم لدوره (خلافة الله)."، فضّله حتى على الملائكة الذين لا عمل لهم سوى عبادة الله والذين خلقهم من نار وخلقه من طين، وذلك عندما أمرهم بالسجود لآدم الإنسان .

وبرزت مقومات التفضيل التكريمي من خلال المعرفة التي شاء الله أن يودع منها عقل الإنسان ما لم يشأ أن يودعه عقل الملائكة، " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسمائِهِم فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسمائِهِم قَالَ أَلَمْ أَقلّ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ " [2] .

وقد ورد التكريم، كذلك، في العديد من المواضع في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى : " وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم

---

1 هايل نصر، في الكرامة الإنسانية، الحوار المتمدن، عدد ٣١١٨، على شبكة المعلومات (الإنترنت) .

2 الآيات : ٣١، ٣٢، ٣٣، سورة البقرة .

فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين "[1]، وقوله تعالى : " وإذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا "[2]، وقوله تعالى : " ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين، قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين "[3].

وتثبت الكرامة للإنسان في الحفاظ على حياته وتحريم المساس بها أو الاعتداء عليها، ويقول المولى عز وجل : " من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون "[4].

وإذ أوجب الله على نفسه احترام كرامة الإنسان واحترامها فعلاً، فعلى الإنسان أن يحترم كرامته بأن يحافظ عليها والتمسك بها ورفض أي اعتداء عليها، فيعد ذلك التزام على كل إنسان نحو نفسه ونحو الإنسانية التي يشارك فيها ونحو المولى عز وجل الذي خلقه وكرمه[5].

المطلب الثالث

مبدأ احترام الكرامة الإنسانية على الصعيد الوطني

بين الدولة ونظامها السياسي، المفترض انه مُمثل لها ومُجسد مقومات وطبيعة وقيم مجتمعاتها، وبين الحقوق والحريات الاساسية،

---

1 الآية ٣٤ من سورة البقرة .
2 الآية ٥٠ من سورة الكهف .
3 الآيات ١١ ، ١٢ من سورة الأعراف .
4 آية ٣٢ من سورة المائدة .
5 أحمد يسري، حقوق الإنسان وأسباب العنف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٣٢ .

ومنها ، بشكل خاص ، كرامة الكائن البشري الذي هو مواطن هذه الدولة ، او المقيم فيها اقامة موقتة او دائمة ، او حتى السائح وعابر اقليمها ، يقوم ، ومنذ زمن القدم ، صراع غير متكافئ ، والدولة بسلطاتها وأدوات قهرها من جهة ، والإنسان المستضعف من جهة اخرى ، الانسان الذي لم يتخل يوما عن مطالبه بكرامته وبالحريات وحقوقه الاساسية ، والدولة الرافضة لها ، او المماطلة في تحقيقها ، أو المتقاعسة في تطبيقها. نضال الانسان المرير في هذا الاتجاه عبر العصور قاد الى ما وصل اليه جزء من البشرية في اجزاء محدودة من العالم ، الى فرض الاعتراف بالحريات والحقوق الاساسية ، ومنها الحق في الكرامة الإنسانية .

وتكرس معظم الدساتير في العالم مبدأ احترام الكرامة الإنسانية ، سواء صراحة أو بشكل ضمني ، وهذا يدل على المكانة التي يحتلها هذا المبدأ عالمياً حتى بات يوصف بأنه مبدأ ذو بعد عالمي ، فالمجتمع بحاجة ماسة إلى فكرة الكرامة لأسباب عملية ، وذلك من أجل ضمان حياة اجتماعية وحضارية [1] ، لأن الكرامة الإنسانية ملازمة لكل أفراد المجتمع الإنساني ، فهذه إشارة ضمنية لفكرة الكرامة الإنسانية والتي تعتبر عنصراً أساسياً في تعريف الكائن الإنساني ومصدراً لحقوقه الطبيعية غير القابلة للتقادم ، وهي الحقوق التي يحوزها الإنسان بصفته كائن إنساني وعضو في خلية اجتماعية.

وإذا رجعنا إلى المواثيق الدستورية [2] وجدنا اعترافاً صريحاً وضمنياً للكرامة الإنسانية في الإعلان الدستوري الليبي الصادر في ٣ . ٨ . ٢٠١١

---

1 R.Andorno, La convention d'Oviedo: Vers un droit commun européen de la bioéthique, in Droit et Justice justice, N 45, Bruylant, 2003K, p. 26 et s.

2 أنظر بالخصوص :

- د. محيي شوقي أحمد ، أهم الجوانب الدستورية لحقوق الإنسان ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ ، ص ٣٦ وما بعدها . =

بعد قيام ثورة ١٧ / فبراير، وهو الإعلان النافذ في الوقت الراهن إلى أن يصدر دستور ليبيا المرتقب، فعلى سبيل الذكر، نجد النصوص الصريحة للاعتراف بالكرامة الإنسانية، متمثلة في الآتي :

أولاً / جاءت ديباجة الإعلان الدستوري في الفقرة الأولى لتعلن : " إيماناً بثورة السابع عشر من فبراير ٢٠١١ التي قادها الشعب الليبي في شتى ربوع بلاده، ووفاءً لأرواح شهداء هذه الثورة المباركة، الذين ضحوا بحياتهم من أجل الحرية والعيش بكرامة على أرض الوطن .... "

ثانياً / أشارت المادة ٧ من الإعلان، بنصها : " تصون الدولة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية

، وتسعى إلى الانضمام للإعلانات والمواثيق الدولية والإقليمية التي تحمي هذه الحقوق والحريات، وتعمل على إصدار مواثيق جديدة تكرم الإنسان كخليفة لله في الأرض " .

ثالثاً / ورد الاعتراف الضمني بالكرامة الإنسانية في العديد من النصوص، فعلى المستوى الاجتماعي والسياسي والصحي والمعيشي، بصفة عامة.

نصت المادة ٥ من الإعلان، على أن : " الأسرة هي الركن الأساسي للمجتمع، وهي في حمى الدولة .... " . فحمى الدولة هنا يضمن حماية الكرامة الإنسانية.

وأشارت المادة ٦، إلى أن : " الليبيون سواء أمام القانون، ومتساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفي تكافؤ الفرص ... " . المساواة هنا تشعرنا بالكرامة الإنسانية .

=- د. عابد فايد عبد الفتاح فايد، الكرامة الإنسانية أصل حقوق الإنسان : دراسة مقارنة، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول لكلية العلوم الاجتماعية – جامعة مؤتة، الأردن، بعنوان : حقوق الإنسان في الوطن العربي : لنعمل معاً من أجل حقوق الإنسان، الفترة من ٩ – ١١ . ٥ . ٢٠٠٥، ص ٤ – ٥ .

كما أوضحت المادة ٨، بأنه : "تضمن الدولة تكافؤ الفرص، وتعمل على توفير المستوى المعيشي اللائق وحق العمل والتعليم والرعاية الصحية والضمان الاجتماعي لكل مواطن ... وتضمن الدولة عدالة توزيع الثروة الوطنية بين المواطنين وبين مختلف مدن ومناطق الدولة" . إن ضمان المستوى المعيشي اللائق للمواطن في كافة مجالات الحياة، بما في ذلك ضمان توزيع الثروة يحقق حماية للكرامة الإنسانية . وعلى المستوى الشخصي .

نصت المادة ١٢ من الإعلان، على أنه : "لحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها القانون ..."

وأضافت المادة ١٣، بنصها : "للمراسلات والمحادثات الهاتفية وغيرها من وسائل الاتصال حرمتها وسريتها، وهما مكفولتان، ولا تجوز مصادرتهما أو الاطلاع عليها أو رقابتها إلا بأمر قضائي، ولمدة محددة، ووفقاً لأحكام القانون" .

كما أشارت المادة ١٤ إلى أنه : "تضمن الدولة حرية الرأي وحرية التعبير الفردي والجماعي، وحرية البحث العلمي وحرية الاتصال وحرية الصحافة ووسائل الإعلام والطباعة والنشر وحرية التجمع والتظاهر والاعتصام السلمي، وبما لا يتعارض مع القانون" .

يتضح من هذه النصوص، أن حرمة الحياة الخاصة والحرية الشخصية في مجالات الحياة المختلفة مكفولة بحماية القانون، وهذا يتضمن بالضرورة حماية الكرامة الإنسانية . أما على المستوى القضائي[1].

---

1 أنظر :

- عبد الوهاب الأزرق، "هل القضاء سلطة مستقلة"، مجلة العدالة، عدد ١١، السنة الثالثة، يوليو ١٩٧٦، ص ٤٣ – ٤٥ .
- سردار ياسين محمد أمين، استقلال السلطة القضائية بين النظرية والتطبيق، (رسالة ماجستير)، كلية القانون والسياسة، جامعة صلاح الدين، أربيل، ٢٠٠١، ص ٧٣ .

أشار الباب الرابع من الإعلان الدستوري إلى الضمانات القضائية، والتي تستند إلى مبدأ " لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص، والمتهم بريئ حتى تثبت إدانته في محاكمة عادلة، تكفل له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عن نفسه ... و" السُلطة القضائية مُستقلة، وتتولاها المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها، وتصدر أحكامها وفقاً للقانون .." و" التقاضي حق مصون ومكفول للناس كافة ولكل مواطن حق الالتجاء إلى قاضيه الطبيعي [1] .. " .

ولم تكن النصوص القضائية الواردة بالإعلان صريحة في كفالة حق الكرامة الإنسانية، خاصة فيما يتعلق بالقبض على المتهم ومعاملته، والتحقيق معه، وعدم إيذاؤه بدنياً، أو معنوياً، وعدم حجزه في غير الأماكن المخصصة لذلك، من الناحية القانونية، ورد الاعتبار في حالة براءته ... الخ، الأمر الذي نأمل أن يكون الدستور الليبي المرتقب واضحاً في كفالة الحق في الكرامة الإنسانية، والتي تتضمن بالتأكيد احترام كافة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ..

وأخيراً، يقع دور كبير على المشرع الليبي في حماية الكرامة الإنسانية، خاصة على صعيد النصوص القانونية، وذلك بتدخله لسن العديد من التشريعات، سواءً في هيئة قوانين، أو لوائح، أو قرارات ... تكفل حماية الكرامة الإنسانية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى على صعيد الإدارة التنفيذية التي تطبق مثل تلك النصوص على أرض الواقع، ثم فاعلية الأجهزة القضائية لتأخذ دورها في كفالة الحماية القانونية للكرامة الإنسانية، ولا ننسى ضرورة وجود أجهزة رقابية لتحقيق ذات الغرض ... الأمر الذي نأمل أن يحققه المشرع الليبي في المرحلة الراهنة، وفي المستقبل القريب بإذن الله .

---

1 أنظر، المواد " ٣١ – ٣٣ " من الإعلان الدستوري .

المطلب الرابع
مبدأ الكرامة الإنسانية في القانون الدولي

جاءت الإشارة إلى الحق في احترام الكرامة الإنسانية على الصعيد العالمي في مقدمة ميثاق الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ٢٦ . ٦ . ١٩٤٥ ، فقد جاء فيه : " وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق

متساوية "، ومن ثم أكد الصك التأسيسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم اليونسكو عام ١٩٤٦ ، أن كرامة الإنسان تتطلب نشر ثقافة وتربية جميع البشر من أجل العدل والسلام [1] ويكرس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مواضع عدة منه .فديباجة هذا الإعلان تقر بأن جميع أعضاء الأسرة البشرية لهم كرامة أصيلة فيهم، وتؤكد على

إيمان شعوب الأمم المتحدة بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الإنسان وقدره .وتنص المادة الأولى منه على أنه : " يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق "، كما تمنع المادة " ٥ " منه إخضاع أي شخص للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللإنسانية أو الحاطة للكرامة .

وتنص المادة 22 من هذا الإعلان على حق الشخص في الضمان الاجتماعي، وعلى حقه في أن توفر له، وبما يتفق مع هيكل كل دولة

---

1 جاء في ديباجة الميثاق التأسيسي لمنظمة اليونسكو أن : "" كرامة الإنسان تقتضي نشر الثقافة وتنشئة الناس جميعاً على مبادئ العدالة والحرية والسلام، وإن هذا العمل يعد بالنسبة إلى جميع الأمم واجباً مقدساً ينبغي القيام به في روح من التعاون المتبادل "

ومواردها، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها لكرامته ولتنامي شخصيته في حرية.

وأخيراً تنص المادة " ٣٢ / ٣ " من الإعلان المذكور على حق كل فرد يعمل في مكافأة عادلة ومرضية تكفل له ولأسرته عيشة لائقة بالكرامة البشرية.

وكذلك الحال بالنسبة إلى العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والإجتماعية والثقافية الذي اعتمدته الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ١٦ . ١٢ . ١٩٦٦ ، ودخل حيز النفاذ بتاريخ ٣ . ١ . ١٩٧٦ الذي يكرس مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مواضع عدة منه، وهي انعكاسات لما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان[1] . ويضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الذي اعتمدته الجمعية العمومية للأمم المتحدة بتاريخ ١٦ . ١٢ . ١٩٦٦ ، والذي دخل حيز النفاذ بتاريخ ٢٣ . ٣ . ١٩٧٦ .

احترام الكرامة الإنسانية في أكثر من موضع فيه[2] أضف إلى ذلك أنه صدرت نصوص أخرى ذات طابع عالمي تكرس احترام الكرامة

---

1 تقر ديباجة هذا العهد أن جميع أعضاء الأسرة البشرية لهم كرامة أصيلة فيهم هي أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. وتقر بأن الحقوق التي يتمتع بها أعضاء الأسرة البشرية تنبثق من كرامة الإنسان الأصيلة فيه . وتضمن المادة 7 من هذا العهد لكل شخص الحق في التمتع بشروط عمل عادلة ومرضية تدخل بشكل خاص مكافأة توفر لجميع العمال كحد أدنى من ضمن ما تكفله، عيشا كريما لهم ولأسرهم .

2 تكرر ديباجة هذا العهد ما جاء في ديباجة العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بشأن احترام الكرامة الإنسانية .كما تمنع المادة 7 من هذا العهد إخضاع أحد للتعذيب أو للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة .وأخيراً تنص المادة10 ، فقرة1 ، منه على وجوب معاملة جميع المحرومين من حريتهم معاملة إنسانية، تحترم الكرامة المتأصلة في الشخص الإنساني .

الإنسانية بشكل عام، ومنها إعلان طهران الذي أصدره المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان في طهران بتاريخ ١٣ . ٥ . ١٩٦٨، وكذلك الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري التي اعتمدتها الجمعية العامة بتاريخ ٢١ . ١٢ . ١٩٦٥، ودخلت حيز النفاذ بتاريخ ٤ . ١ . ١٩٦٩، واتفاقية منع التمييز ضد المرأة لعام1979 ، واتفاقية منع التعذيب والعقوبات أو المعاملات المهينة أو اللإنسانية أو الحاطة بالكرامة لعام ١٩٨٤ [1].

واتفاقية حقوق الطفل لعام ١٩٨٩ وكذلك اتفاقيات جنيف الأربع المؤرخة في ١٢ . ٨ . ١٩٤٩ [2].

وعلى الصعيد الإقليمي، لا تنص الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان لعام ١٩٥٠ على ضمان مبدأ احترام الكرامة الإنسانية صراحة، ولكن هذه الاتفاقية تكرس حق كل إنسان في الحياة "المادة ٢٢ "، كما تمنع صراحة إخضاع أي إنسان للتعذيب وللمعاملة أو العقوبة المهينة للكرامة " المادة ٣ "، واستناداً إلى ذلك فإن المحاكم الأوربية، وخاصة محكمة حقوق الإنسان الأوربية،

تستند حديثاً في الكثير من قراراتها إلى مفهوم الكرامة الإنسانية، وخاصة من أجل إدانة المعاملات غير الإنسانية أو المهينة، وهذا يؤكد أن

---

1 هذه النصوص منشورة في كتاب بعنوان : حقوق الإنسان_1 _، المجلد الأول :الوثائق العالمية والإقليمية، إعداد : محمود شريف بسيوني، ومحمد سعيد الدقاق وعبد العظيم وزير، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٨٨ .

2 تنص المادة 3 المشتركة بين هذه الاتفاقيات على أنه يجب معاملة الأشخاص الذين لا يشتركون مباشرة في الأعمال العدائية، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا عنهم أسلحتهم، والأشخاص العاجزون عن القتال بسبب المرض أو الجرح أو الاحتجاز، أو لأي سبب آخر، معاملة إنسانية . ويمنع الاعتداء على كرامتهم الشخصية وعلى الأخص المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.

مبدأ احترام الكرامة الإنسانية ليس مبدأ نظرياً بحتاً، وإنما هو مبدأ مطبق عملياً[1].

وبالمقابل فإن الميثاق الأوربي للحقوق الأساسية، الذي اعتمده الاتحاد الأوربي في مدينة نيس الفرنسية بتاريخ ٧ . ١٢ . ٢٠٠٠، يعطي أهمية بارزة لمبدأ احترام الكرامة الإنسانية، إذ تنص المادة الأولى من هذا الميثاق على أن الكرامة الإنسانية مصونة وغير قابلة للخرق، ويجب احترامها وحمايتها .

أما الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان لعام 1969 فتنص صراحة على معاملة الأشخاص الذين قيدت حريتهم بالاحترام الواجب للكرامة المتأصلة في شخص الإنسان (المادة ٥ / ٢)، وكذلك تكرس المادة 11 منها حق كل إنسان في احترام شرفه وصون كرامته، في إطار حق الخصوصية .أما الميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لعام 1981فينص صراحة على ضمان مبدأ احترام الكرامة الإنسانية لذاته . فديباجة الميثاق تحرص على المساواة والعدالة والكرامة كأهداف أساسية لتحقيق التطلعات المشروعة للشعوب الإفريقية .وتكرس المادة 5 منه حق كل فرد في احترام كرامته والاعتراف بشخصيته القانونية، وتمنع أشكال استغلال الإنسان وامتهانه واستعباده كلّها خاصة الاسترقاق والتعذيب بجميع أنواعه والعقوبات والمعاملة الوحشية أو اللاإنسانية أو المذلة .وقد ذهب هذا الميثاق إلى أكثر من ذلك عندما كرس حق الشعوب في الكرامة نفسها في المادة 19 منه.

وينص الميثاق العربي لحقوق الإنسان، الذي اعتمد من قبل القمة العربية السادسة عشرة في جامعة الدول العربية في ٢٣ . ٥ . ٢٠٠٤، على

---

1 B.Maurer, Le principe de respect de la dignité humaine et la convention européenne des droits de l'homme, La documentation française, Paris 1999, p. 121 et ss .

مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مواضع عدة منه بدءاً من السطر الأول من ديباجته [1] ويعد الميثاق العنصرية والصهيونية والاحتلال والسيطرة الأجنبية تحدياً للكرامة الإنسانية " المادة ٢ / ٣ "، وساوت " المادة ٣ / ٣ " بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية والحقوق والواجبات في ظل التمييز الإيجابي الذي أقرته الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية الأخرى والتشريعات والمواثيق النافذة لصالح المرأة .

كما تمنع المادة " ٨ / ١ " منه التعذيب والمعاملة القاسية أو اللإنسانية أو المهينة أو الحاطة للكرامة . وتنص المادة " ٢٠ / ١ " على معاملة جميع الأشخاص المحرومين من الحرية معاملة إنسانية تحترم الكرامة المتأصلة في الإنسان .كما تلزم المادة " ٤٠ / ١ " الدول الأطراف بتوفير الحياة الكريمة لذوي الإعاقات النفسية والجسدية التي تضمن لهم كرامتهم .

وهكذا، استقر التعامل الدولي على احترام مبدأ الحق في الكرامة الإنسانية، سواءً على الصعيد العالمي، كما أشرنا، في إطار النصوص العامة، أو على المستوى الإقليمي، وفقاً لما تضمنته بعض النصوص الخاصة، لتبقى الكرامة الإنسانية لصيقة بحق كل إنسان في الحياة الكريمة المحمية قانوناً ..

الخلاصة

تتضح العلاقة الوثيقة بين : " المواطنة والهوية وعلاقتهما بالكرامة الإنسانية " لأن : المواطنة حق، والهوية حق، والكرامة الإنسانية أصل الحقوق .

---

1 ورد بالديباجة : انطلاقاً من إيمان الأمة العربية بكرامة الإنسان الذي أعزه الله منذ بدء الخليقة، وبأن الوطن العربي مهد الديانات وموطن الحضارات ذات القيم الإنسانية السامية التي أكدت حقه في حياة كريمة على أسس من الحرية والعدل والمساواة ...،

فالمواطنة انتساب جغرافي . والهوية انتساب ثقافي . والمواطنة انتساب إلى أرض معينة .والهوية انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة ، وتشكل الهوية حقاً للمواطن يرتبط بحق المواطنة .

وتعتبر الكرامة مبدأ أساسياً للحياة ، وهناك من يعتقد أن الكرامة هي المال مهما كانت طريقة الحصول عليها ، ومنهم من يعتقد أن الكرامة هي السلطة كما يظن السياسيين ، ومنهم من يظن أن الكرامة أن يكون له رأي دون معارض أو مختلف أو حتى رأي أخر كما الحال في العرب كلهم ، وغيرهم الكثير ...

الكرامة هي ما خلقه الخالق فينا وهو أن تكون إنسان مفتخر بما وهبك إياه الله سبحانه وتعالى فقد خلق الإنسان في أحسن تقويم من الشكل إلى العقل إلى المبادئ وإيماننا الراسخ في الفطرة بالقلوب فإيماننا بالله سبحانه هو كرامتنا .

والكرامة هي القيمة الأسمى في المسيرة التي يقطعها الإنسان في سبيل التحقق والإنجاز ، إذ تقع منهما موقع القلب من الجسد ، وأحياناً تكون بمنزلة قدمين يسير بهما هذا الجسد في مختلف الاتجاهات ، متنقلاً نحو مقاصده وغاياته. فمن الكرامة تولد الحرية والهيبة واحترام الذات واستحسان التعزيز الإيجابي والثناء ، وهي قيم وأحوال نفسية ضرورية لبناء شخصية الآدمي وتحديد مسيرته ومصيره وترسيخ اختياراته وانحيازاته.

والكرامة ليست كلمة تُقال ، من دون إدراك معناها ومغزاها ، أو العمل من أجل تحصيلها والتمتع بحضورها ووجودها ، بل هي قيمة تتحقق حين تتوافر الشروط التي تؤدي إليها ، وينتظم السلوك المترتب عليها ، ويكتمل الشعور بها لدى الفرد والجماعة ، وهذا هو أساس المواطنة.

ولا تحل الكرامة بمجرد تكرار اللفظ الدال عليها ، أو المفاهيم المنبثقة منها ، ولا بمجرد الإلحاح على ضرورة الشعور بها ، بل تأتي

طواعية، مرتبطة بأفعال لا تتحقق من دونها، ثم تنمو داخل النفس الإنسانية، حتى تلتصق بها، وتتوحد معها، إلى الدرجة التي يعتقد فيها الإنسان أن الكرامة هي التي تحدد ما يقبله وما يرفضه، وما يروق له ويحبه، وما يلفظه ويكرهه، كما تحدد نظرة الجماعة إليه، وموقعه في سلم الإنسانية، إلى حد يؤمن عنده بأن الموت أفضل من حياة بلا كرامة. إذن ما قيمة المواطنة بدون كرامة ؟

ويقود الشعور بالكرامة إلى ميلاد اتجاهات وقيم إيجابية، لا غنى عنها، فهذه القيم وتلك الاتجاهات والتوجهات تحصن الإنسان نفسياً وعقلياً، وهي تسهم بطريقة جلية وملموسة في صنع الإطار العام الذي يحكم نظرة الإنسان إلى الأمور، وحكمه على المواقف والأحداث والشخصيات والأفكار. وكلما كان هذا الإطار متماسكاً منيعاً، تضاءلت إمكانات التصدي لـ «الآخر المُعادي»، سواء كان العدوان متجسداً في جيوش وعروش، أو متمثلاً في أفكار ورؤى، أو متضمناً في استراتيجيات وخطط وحيل ومكائد.

وأول الاتجاهات التي يصنعها شعور الإنسان بالكرامة هي حيازته «الاقتدار السياسي»، الذي يبدأ بتقدير الفرد ذاته، فهو إن رفع من قدرها، واعتز بها، امتلأ شعوراً بأهميته، وجدارته بالاحترام والتقدير، وامتلأ ثقة في صحة أفكاره وميوله. وعلى العكس من ذلك فهو إن أبخس نفسه، وحط من منزلتها، فسيتضاءل شعوره بقيمة شخصه، وسيصاب بإحساس بأن الآخرين يلفظونه، وأنه عاجز عن فعل ما يريد. والحاجة إلى التقدير تشير إلى معنيين رئيسين:

الأول هو الحاجة إلى القوة والإنجاز والكفاية والتمكن، والثاني هو الحاجة إلى السمعة والمكانة والشهرة والفخر والأهمية، فإن أشبع الإنسان هذه الحاجات امتلك الشعور بالثقة، وأحس بأن له قيمة في الحياة.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن صورة وحال : «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»، وكرمه على سائر المخلوقات : « ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ».

وهذا التكريم يتوجب أن يحصل عليه الإنسان لإنسانيته، بغض النظر عن دينه وعرقه ولغته وأيديولوجيته ووضعه الطبقي ولون بشرته...

وترتبط كرامة الإنسان في القرآن بثلاثة أمور مهمة : الأول / هو أن الإسلام يقر خلافة الإنسان لله : « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة » (البقرة - ٣٠).

والثاني / هو أن الإنسان يحمل الأمانة من قبل الله سبحانه وتعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً جهولاً» (الأحزاب - ٧٢).

أما الثالث / فيتعلق بعدم وجود أي حائل بين الإنسان وربه في الإسلام، فهو دين لا يعرف وساطة بين الأرض والسماء، ويقر بوجود رباط وثيق بين الله وبين الإنسان، وهو ما تعبر عنه الآية الكريمة : «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا غافلين» (الأعراف - ١٧٢).

والكرامة التي يقرها الإسلام للإنسان ليست كرامة مفردة، إنما هي كرامة ذات أبعاد ثلاثة، فهي :

أولاً عصمة وحماية، وعزة وسيادة، واستحقاق وجدارة، وهي ثانياً مستمدة من طبيعة الإنسان، تتغذى من عقيدته : «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون - ٨)، وهي ثالثاً كرامة يستوجبها الإنسان بسعيه

وعمله وجهده واجتهاده :_«ولكل درجات مما عملوا» (الأحقاف - ١٩).

وبهذا التكريم تكتمل الإنسانية، وبتلك الكرامة تتحقق الآدمية، ويجد الإنسان متكأً قوياً وعريضاً لنيل كل ما له من حقوق للمواطنة.

وتمتد الكرامة الإنسانية إلى تحرير الإنسان من الخوف، وصيانته ضد كل أصناف القهر والإذلال، وإقرار حقوقه السياسية والاجتماعية والروحية، وكل ما يجعله يحيا عزيزاً مهاباً في وطنه، مرتبطاً بهويته.

فالكرامة تعني أن «الإنسان فوق كل ثمن»، أي لا يمكن بيعه بأي سعر. فكل ما له ثمن سلعة أو وسيلة، والإنسان ليس سلعة تباع وتشترى، وليس وسيلة إلى أي شيء، إنما هو غاية متفردة.

وعلى وجه العموم فإننا، لا يمكن أن نطرح مسألة الكرامة الإنسانية بمعزل عن السياق الاجتماعي الذي يحيط بالفرد، والسياق القانوني، كذلك (الوطني والدولي)، فاحترام هذه الكرامة أو انتهاكها يعتمد في جانب كبير منه على القواعد العامة المرعية للسلوك في أي مجتمع، وعلى القواعد القانونية.

ويبقى الحق في الكرامة الإنسانية وحمايتها هو الأساس والأصل في ترسيخ حق المواطنة والاحتفاظ بالهوية الوطنية .. الأمر الذي نحن في أمس الحاجة إليه في وطننا ليبيا ..

تم بحمد الله